

التفسير المطول - سورة الشعراء 026 - الدرس 02-20 : تفسير الآيات -10-
21، قصة سيدنا موسى مع فرعون.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 30-06-1989

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا
وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

إعادة وتذكير :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس الثاني من سورة الشعراء .
في الدرس الماضي بينت لكم بفضل الله عز وجل أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ - أي مكذبين - (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(6)﴾ القصص التي يقصها ربنا علينا في هذه السورة كلها تؤكد هذه
الآية: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ العاقل هو الذي يستجيب لربه قبل أن
يأتيه نبأ ما كان به مكذباً، إما أن تستجيب في الوقت المناسب، وإما أن يأتيك نبأ ما كذبت به
بعد فوات الأوان، عندئذ لا تلوي على شيء، ولات حين مناص.
القصة الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة كلها تؤكد: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا
فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي العاقل من يرى نتائج الشيء قبل أن تقع النتائج،
يرى النتيجة قبل وقوعها، فإذا رآها بعد وقوعها ما قيمة هذه الرؤية؟

التذكير نوعان ؛ تذكير بالفكرة وتذكير بالقصة :

شيء آخر ؛ التذكير إما أن يكون بالفكرة، وإما أن يكون بالقصة، والتذكير بالقصة أبلغ، لأن الإنسان من طبيعته أنه ينجذب إلى أحداث إنسانية، فربنا سبحانه وتعالى عبر بالفكرة فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ والآن يعبر عن هذه الفكرة مرة ثانية بالقصة، القصة كما قال الله عز وجل:

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ (120)

سورة هود

أحياناً يثبت الإنسان من قصة وقعت، لأن القصة هي في حقيقتها حقيقة مع البرهان عليها، فالبرهان على هذه الآية هو هذه القصة، البرهان على قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ البرهان على هذه الآية هي هذه القصة، والتي تليها، فالعاقل هو الذي يعرف النتائج قبل وقوع النتائج، لأنك إذا عرفت النتيجة قبل وقوعها تلافيت وقوع هذه النتيجة، لكن الذي يعرف النتيجة بعد وقوعها لم يبق شيء في حياته ليستفيد من هذا الدرس كما حل الأمر بفرعون، آمن بعد فوات الأوان، ربنا سبحانه وتعالى قال له:

الآن وَقَدْ عصيتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)

سورة يونس

المبادرة إلى الإيمان والعمل الصالح :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ الآن الآن، وليس بعد غدٍ، وليس بعد مضي سنوات طويلة، وليس في خريف العمر:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)

سورة الحديد

آمن بالله وأنت شاب، آمن بالله وأنت صحيح، آمن بالله وأنت قوي، آمن بالله وأنت غني، آمن بالله وفي العمر فسحة، آمن بالله في مستقبل الحياة من أجل أن يكرمك الله في خريف العمر، الآيات كلها والقصص كلها من أجل أن تعرف النتيجة قبل وقوع النتيجة ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إن قيل لك: هذه المعاملة حرام، استجب، اطلب الدليل من كتاب الله أو من سنة رسوله، واستجب، فإن لم تفعل جاءتك النتيجة المزعجة، جاءتك النتيجة المؤلمة، دفعت الثمن باهظاً، هذا القرآن حينما نتلوه ليس لإملاء الوقت، ولا للمتعة، ولا لأخذ

المعلومات، ولا للاطلاع، إنه كتاب مصيري، يتحدد مصيرنا في ضوء فهمه، وفي ضوء معرفة مراميه البعيدة، ومغازيه الجليلة، فرينا عز وجل يقول:

وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)

سورة هود

حينما يقرأ الإنسان القصة يقرأ الحقيقة مع البرهان عليها، قد نقول نحن: لا تفعل كذا وكذا فيأتي كذا وكذا، هذه فكرة، أما حينما نروي لك قصة إنسان خالف هذه التعليمات فدفع الثمن باهظاً هذه أبلغ، لأن الحقيقة التي تروي مجردة من القصة قد تصدقها أو لا تصدقها، لكن إذا سمعت القصة فكأن القصة وأحداثها برهان على هذه الفكرة النظرية.

الحكمة من تكرار القصص في القرآن :

شيء آخر ؛ قد يسأل سائل: لماذا تكرار بعض القصص في القرآن الكريم؟ سؤال: لماذا ربنا سبحانه وتعالى يعيد علينا القول؟ قصة سيدنا موسى وردت في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، الجواب الأول أن الرحمة تقتضي تكرار التذكير، أي أنت - والله المثل الأعلى- تتبه ابنك، وتحذره، وتأمره بالخير مرات كثيرة، لكن خصمك حينما يبلغك الدعوة يتمنى ألا يبلغك إلا مرة واحدة، ويتمنى من أعماقه أن تتبلغها دون أن تعرف مضمونها، فلعلك تتخلف عن حضور الجلسة فيأخذ خصمك حكماً غيائياً، فالتبليغ مرة واحدة لا ينطوي على رحمة، ولكن تكرار التبليغ، تكرار الذكر هذا أساسه رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان.

شيء آخر ؛ وهذه فكرة مهمة جداً: القصة مجموعة حلقات، فرينا سبحانه وتعالى في كل مرة يعيد علينا القصة يبرز جانباً من جوانبها المتعلقة بالسياق العام أو بالسورة، لأوضح لكم ذلك بمثال، إذا تحدثنا عن قصة إنسان تزوج، قصة مطولة، واستشهدنا بهذه القصة مرات عديدة، في مرة استشهدنا بهذه القصة على أن طول فترة الخطبة هذا يعكر العلاقة بين الزوجين، وفي مرة ثانية ذكرنا هذه القصة، ولكننا سلطنا الضوء على حلقة أخرى، على أن نجاح الزواج يكون ببيت مستقل، هي قصة طويلة، وفي المرة الثالثة ذكرنا هذه القصة، وأخذنا منها حلقة جديدة لنؤكد بها حقيقة جديدة، فالذي يقرأ القرآن من دون وعي، من دون تدبر، يتوهم أن هذه القصص تتكرر هكذا بلا سبب، مع أن تدبر كتاب الله عز وجل ينبئنا أن كل قصة لهذا النبي الكريم وردت في القرآن الكريم إنما وردت من زاوية جديدة، وإنما قد سلط الضوء على أحداث فريدة في هذه القصة.

إذاً التكرار أولاً بدافع الرحمة، وثانياً التكرار في ظاهره تكرر، وفي حقيقته تناول هذه القصة من زوايا متعددة، قد تنظر إلى جبل قاسيون من طريق درعا فله صورة، وقد تنظر إليه من طريق بيروت له شكل آخر، وقد تنظر إليه من طريق حمص، وله شكل ثالث، وقد تنظر إليه من طريق التل، وله شكل رابع، إن تكاتف هذه الزوايا يعطيك صورة مجسدة لهذا الجبل، فهذه الزوايا المختلفة ليست متناقضة، إنما هي متكاملة، هذا كلام رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أشد أنواع الظلم أن يضيع الإنسان الجنة ورؤية رب العالمين :

في هذه السورة في سورة الشعراء وردت هذه القصة بشكل خاص، فالله سبحانه وتعالى يقول وكأنه يطمئن النبي عليه الصلاة والسلام من أن العاقبة للمتقين، وأن للباطل جولة ثم يضحل، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.. مَنْ هم القوم الظالمون؟ قوم فرعون، الظالمون من معانيها أنهم ظلموا أنفسهم، أي إنسان ما عرف الله عز وجل، أو ما عرف نفسه بالله، ما حملها على طاعته، ما حملها على التقرب إليه، ما عرفها بحقيقة الدنيا فهو ظالم لنفسه مبین، وليس من ظلم أشد، ولا أعظم، ولا أكبر من أن تبقي نفسك جاهلة، تائهة، شاردة، ضالة، لا تعرف حقيقة الحياة.

أشد أنواع الظلم أن تظلم نفسك، أن تضيع عليها السعادة الأبدية، أن تجعلها تأتي يوم القيامة وهي صفر اليدين، هذا أشد أنواع الظلم.

أشد أنواع الظلم أن تعدّ العدة للحياة الدنيا فقط، فإذا جاء الموت كان كالصاعقة، هذا أشد أنواع الظلم.

أشد أنواع الظلم أن تظن أن الله سبحانه وتعالى خلقنا عبثاً.

أشد أنواع الظلم أن تتوهم أن الإنسان يترك سدى بلا حساب.

أشد أنواع الظلم أن تعيش لحظتك، أن تقتنص اللذة من أي طريق وبأي ثمن.

أشد أنواع الظلم أن تكون في عمى عن هذه الحقائق، قال:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَفَعِمَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَوْهَا
وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)

سورة هود

أشد أنواع الظلم أن تكون بعيداً عن حقائق القرآن الكريم، ألا تعرف لماذا أنت على هذه الأرض؟ لماذا أنت في الدنيا، تعمل، وتعمل، وتعمل، لذلك ورد في الأثر القدسي: خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعيني رغيف أسوقه إليك كل حين؟ وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكننت عندي مذموماً.

أشد أنواع الظلم أن تمشي في طريق مسدود.

أشد أنواع الظلم أن تمشي في طريق ينتهي إلى الهاوية، هذا الظلم. ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ما ظلمت أنت أحداً، بل ظلمت نفسك، ولأن تظلم نفسك أشد عليك من أن تظلم الناس جميعاً، ضيعت على نفسك الجنة، ضيعت عليها أن ترى رب العالمين يوم القيامة:

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)

سورة المطففين

هذا ظلم، وهل من ظلم أعظم من هذا الظلم؟

من ظلم نفسه فقد ظلم الآخرين :

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.. قوم فرعون ظلموا أنفسهم، وظلموا أتباعهم، ذبحوا أبناء بني إسرائيل، واستحيوا نساءهم، ولكن هناك علاقة بين أن تظلم نفسك، وبين أن تظلم الآخرين، فمن ظلم نفسه من نتائج هذا الظلم أنه يظلم الآخرين، لأنه في عمى، يريد الدنيا بأي ثمن، يحب أن يأخذ ما له، وما ليس له، أن يأخذ ماله، ومال غيره، أن يستمتع بما هو مباح له، وما هو غير مباح له، هذا هو الظلم، فمن لوازم أن تظلم نفسك ظلم الآخرين، هناك علاقة جدلية بين ظلم النفس وظلم الآخرين، فمن ظلم الآخرين فقد ظلم نفسه، ومن ظلم نفسه فقد ظلم الآخرين، هذه علاقة مستمرة.

من لوازم العقل الإيمان بالله والاستقامة على أمره :

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11)﴾.. شيء عجيب، عَجَبُ عَجَاب، الإنسان ألا يتقي؟ ألا يفكر؟ يفعل هذا الفعل وهو يعلم أنه معصية ألا يخاف الله رب العالمين الذي بيده كل شيء؟ بيده قلبه، بيده عيناه، بيده أذناه، بيده لسانه، بيده أعضاؤه، بيده شرايينه، بيده كليته، بيده عقله، بيده أهله، بيده أولاده، بيده

دخله، بيده صنعته، بيده من حوله، بيده من هم أقوى منه، بيده من هم أضعف منه ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

* * *

الإنسان كيف لا يفكر، سيدنا النبي - اللهم صلّ عليه - حينما أسلم سيدنا خالد رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: عجبت لك يا خالد أرى لك فكراً ، أي من لوازم العقل أن تؤمن بالله عز وجل، أرجحك عقلاً أشدكم لله حباً، من لوازم العقل أن تؤمن بالله، من لوازم التفكير أن تعرفه، من لوازم التفكير أن تستقيم على أمره ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الإنسان الذي يعمل عمل السوء باختياره، ويعرف النتيجة، ويراهها أمامه في الآخرين، وهو لا يرعوي، أهذا إنسان ! أهذا مفكر ! أهذا إنسان عاقل ! كأن الله يعجب: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾..

أو أن النبي عليه الصلاة والسلام يعجب: ألا يتقون يا رب، كل هذا الوضوح، كل هذا الهدى وهم يركبون رؤوسهم، يعبدون صنماً لا يضرهم ولا ينفعهم، يصدقون أن فرعون إله!!

حقيقة خوف موسى عليه السلام من تكذيب قومه :

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12)﴾.. الحقيقة هناك من يفهم هذه الآية فهماً ما أراد الله عز وجل، إن سيدنا موسى من أولي العزم، ولا يُعقل نبي عظيم من أولي العزم أن يتصل من هذه المهمة، أو أن يتهرّب منها، لا، إنه يعلن ضعفه كي يستدر عطف الله عز وجل فيمده بالقوة، هو لا يتصل، ولا يعتذر، ولا ينهزم، بل يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾، أي مُدني يا رب بقوة من عندك، مُدني بحجة من عندك، مُدني بقلب ثابت، هو حينما يعلن ضعفه، لذلك الإنسان إذا دعا ربه من لوازم الدعاء أن يعلن ضعفه، اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك، اللهم لا تكني إلى نفسي طرفة عين، ولا أقلّ من ذلك، إذا أردت أن تدعو الله عز وجل فتبرأ من حولك وقوتك، تبرأ من تدبيرك، تبرأ من ذكائك، تبرأ من حكمتك، تبرأ من خبرتك، تبرأ من معطياتك.

استعانة موسى بهارون لبيينا لفرعون الحق الذي أراد الله عز وجل :

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾.. سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان في لسانه حبسة، مرض يصيب النطق، هذا المرض أسبابه نفسية، أي الإنسان أحياناً يتضايق فيحبس لسانه، هناك علاقة بين الضيق النفسي وبين هذه الحبسة، ربنا عز وجل قال في سور أخرى:

وَاحْضُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

سورة طه

فسيدنا موسى لم يكن فصيحاً في الدرجة العليا، ربما كان سيدنا هارون أفصح منه، مَنْ الأرقى عند الله عز وجل؟ سيدنا موسى، إذاً هذا التفصح، وهذا النطق، وهذا البيان وحده لا يكفي، سيدنا موسى هو النبي المرسل، وهو من أولي العزم، وفي لسانه عقدة، وفي نطقه حبسة، لا يقدم لا الطول، ولا الطلاقة في الكلام، ولا وسامة الوجه، هذه أشياء لا تقدم ولا تؤخر، قد تسمع بأكبر جراح قلب في العالم لا تفكر أبداً بشكله، تفكر بخبرته، بيديه السحريتين، بعلمه الكبير، قد يقال لك: هذا أكبر طبيب في العالم في جراحة القلب المفتوح، هل تفاجأ أنه قصير القامة؟ هل تزديه إذا كان أسمر اللون؟ هل تزديه إذا كان في رأسه قلة من الشعر؟ هذه أشياء لا تقدم ولا تؤخر، فهذا النبي الكريم عرف ربه وأحبه، واندفع إلى الدعوة إليه، أكان في لسانه حبسة أم لم يكن هذا شيء ثانوي لا يقدم ولا يؤخر، ومع ذلك قال: ويضيق صدري، أنا أخاف أن يكذبون، فإذا كذّبوني يا رب ضاقت نفسي، فأثّر هذا الضيق على لساني، فازداد تلعثماً، وازداد انحباساً ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ هو لا يتهرب من هذه المهمة، لا ينسحب منها، لا يتنصل منها، ولكن يحتاط لها.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾.. هذا احتياط، لا إلى الداعي بل إلى الدعوة، لأن الدعوة عنده أعظم من الداعي، لو أنني أصابني العي، لو أنني انحبس لساني، لو أن عقدة ألجمت لساني يا رب، أرسل إلى هارون هو أفصح مني، فإذا تلعثمت، أو ارتبكت، يأتي هارون فيبين لفرعون الحق الذي ندبتنا إليه يا رب العالمين ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾.

اعتذار موسى بالذنب الذي أصابه بقتل القبطي :

شيء آخر ؛ قال يا رب: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾.. أنا لي عندهم سابقة، في قصة أخرى حينما لقي سيدنا موسى في الطريق قبطياً من حاشية فرعون وإسرائيلياً من بني قومه يتخاصمان، فوكزه موسى ففضى عليه، فولى هارباً، فهو عندهم قاتل، فقال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾

فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١﴾ ومرة ثانية سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لا يتصل، ولا ينسحب، ولا ينهزم، ولكن يحتاط، لا يحتاط لنفسه، ولكن يحتاط للدعوة، يقول: يا رب إذا قتلوني يقيم أخي مكاني يتابع الدعوة، هل بعد هذا الحرص من حرص ! هل بعد هذا الحرص على نشر الدعوة حرص، إن تلعثمت يأتي هارون فيجيب عني، وإن قتلت يا رب يأتي هارون يتابع الدعوة من بعدي ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

طمأنة الله سبحانه لموسى عليه السلام :

ربنا عز وجل برحمته الواسعة وحكمته طمأنه: ﴿قَالَ كَلَّا﴾.. لم يقل: لا، لأن (لا) غير (كلا)، (لا) تقيد النفي، لا يفعلوا، لن يفعلوا ذلك، هذه (لا)، ﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي هو ينفي له أن يقع ذلك ويردعه من أن يفكر في ذلك، قال تعالى:

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)

سورة طه

باللغة الدارجة: أين أنا؟ رب العالمين، وفرعون قلبه بيده، نفسه بيده، كن فيكون، زل

فيزول، أين أنا؟

معية الله سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾.. إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا

كان عليك فمن معك؟ أبيات شعرية:

واترك الكل وحاذر طمعك	كن مع الله تر الله معك
ثم من يعطي إذا ما منعك	وإذا أعطاك من يمنعه؟

* * *

هذا هو الإيمان.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)

سورة الحج

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (2)

سورة فاطر

إذا أعطى الله أعطى، وإذا منَعَ منع، لو أن الأمة اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو أن الأمة اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، هذا هو الإيمان، لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذا هو الإيمان، لا رافع إلا الله، لا خافض إلا الله، لا معطي إلا الله، لا مانع إلا الله، لا معز إلا الله، لا مذل إلا الله، لا قابض إلا الله، لا باسط إلا الله، لا أحد غير الله عز وجل، ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا﴾ لا تقل هذا الكلام يا موسى، أين أنا؟ أنت رسولي، أي كل آية موجهة للنبي عليه الصلاة والسلام فللمؤمن منها نصيب، أحياناً يقول المؤمن: أخاف من أن يحدث لي حادث، أنت مؤمن وأنت على الله غالٍ، والدليل:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْزُبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

سورة المائدة

استنبط الإمام الشافعي أن الله لا يعذب أحبائه، أهكذا ظنك بالله عز وجل؟ النبي عليه الصلاة والسلام أعطي دواء ذات الجنب فغضب صلى الله عليه وسلم قال: ذلك مرض ما كان الله ليصيبني به، حياتك غالية على الله عز وجل، وسعادتك الزوجية غالية على الله عز وجل، وسلامتك غالية، وراحتك النفسية غالية، لك معاملة خاصة، أنت ولي الله، أنت في ظل الله، في ورعايته، لا يتخلى الله عنك، إذا كانت هذه لسيدنا موسى فلكل مؤمن منها نصيب، أين أنا يا موسى؟ أنا معك، إذا كان الله معك فمن عليك؟ يجب أن تكون للمؤمن معنويات عالية، أحياناً مؤمن يخاف خطراً جاثماً بسبب تافه، أهكذا يفعل الله معك؟ لا، ادعُ الله أن يهبك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

هذه اللقطة من السيرة: ذلك مرض ما كان الله ليصيبني به، أنت بشكل مصغر جداً أنت مؤمن، أي الله عز وجل سيهديهم، ويصلح بالهم، لا بدّ من أن يصلح لك بالك، لا بدّ من أن يطمئنك، لا بدّ من أن يتجلى عليك، لا بدّ من أن يريحك، لا بدّ من أن يسعدك، لأنك عبده، يا داود: لو يعلم المعرضون انتظاري لهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم لتقطع أوصالهم من حبي، يا داود: هذه إرادتي في المعرضين فكيف إرادتي في المقبلين؟ هذا الذي استقام على أمر الله، وقرأ كتاب الله، تحرى الحق في كسب المال، في إنفاقه، عاكس نفسه، غض بصره عن محارم الله، خدم عباد الله، استمع إلى الحق، سعى برجليه ليحضر

مجلس علم، أهكذا تظن بالله عز وجل؟ أنت لست على الله هيناً، هذا الذي هان الله عليه يهون على الله، لكن الله عليك ليس بهين، الله عندك عظيم، وإذا كان الله عندك عظيماً فأنت عنده مكرم، الناس رجالان برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، فإذا كان الله عندك عظيماً فأنت عنده لست بهين، يحفظك، اللهم احفظنا مما تحفظ به عبادك الصالحين، أحياناً الإنسان تصيبه مصيبة كبيرة لسبب تافه، فالله عز وجل يحفظك، يحفظك من كل مكروه. هذه الآية دقيقة: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ أنا معكم، إله، خالق السماوات والأرض، كن فيكون زل فيزول، يقول لك: أنا معك، المؤمن الحق عندما ربنا عز وجل يقول: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

سورة النحل

المؤمن الحق يصدق هذه الحق.

أَمَّنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لِأَقْبَاهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)

سورة القصص

كتاب الله فما فيه من بشريات المؤمنين تصدقها، وتطمئن بها، وتشعر أنك أسعد

الناس.

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف :

﴿فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. قال شخص لخليفة من خلفاء بني أمية: سأعظك، وأغلظ عليك، فقال له هذا الخليفة: ولم الغلظة يا أخي؟ إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون، ومع ذلك: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا﴾ من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف.

فرعون الذي قال: أنا ريكم الأعلى، والذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، فرعون الذي قتل أبناء بني إسرائيل، وذبحهم، واستحيا نساءهم، الله سبحانه وتعالى أرسل له موسى كي يؤمن، أي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم جئتني تائباً غفرتها ولا أبالي. قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

سورة الزمر

﴿فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. يا موسى ويا هارون قولوا، إننا: (للمثى) رسول: بالمفرد، هذه لقطة ثانية، أي الهدف واحد، أي ينبغي أن يكون الدعوة لهم هدف واحد، يجب ألا يختلفوا، يجب ألا يُجرح بعضهم بعضاً، ما دام هذا الداعية يدعو إلى الله ورسوله وفق هذا الكتاب، وهذا الداعية يدعو إلى الله ورسوله وفق هذا الكتاب فلم الخلاف؟ ولم المنافسة؟ ﴿فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ﴾ الهدف واحد، لذلك قول الصوفيين في أورداهم: إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي، إذا قال كل داعية: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، لا بدّ من أن يأتلفوا جميعاً، لا بدّ من أن يلتقوا جميعاً، لا بدّ من أن ينصر بعضهم بعضاً، لا بدّ من أن يوقر بعضهم بعضاً، أما هذا التنافس، وهذه الخصومات، وهذا التجريح لا يليق بالدعوة إطلاقاً ﴿فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذا عزّ أخوك فهن أنت، كن معه، كن تحت جناحه، كن في خدمته، لم المنافسة؟ أي يجب أن يكون الهدف واحداً.

محاولة موسى إخراج قومه من تأديب فرعون لهم :

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)﴾ يبدو أن دعوة سيدنا موسى كانت إلى قومه بني إسرائيل، لذلك ليس فرعون مقصوداً بهذه الدعوة بقدر - تعبير دقيق - ما هم مقصودون، أي بنو إسرائيل ﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.. لا تعذبهم، لا تدبج أبناءهم، لا تستحيي نساءهم، أرسلهم معنا كي يعبدوا الله، بنو إسرائيل لهم أنبياء قبل سيدنا موسى، جاءهم سيدنا يوسف بالبيانات، جاءهم إسرائيل، يعقوب، هؤلاء أنبياء بني إسرائيل، لكن امتداد الزمن جعلهم ينحرفون، جعل هذه الشعلة تخمد في نفوسهم، جعلهم يعصون، ينحرفون، يبتعدون، يقصرون، أصبح دينهم طقوساً، أصبحت أعمالاً لا معنى لها، لذلك استحقوا أن يؤدبهم الله على يد فرعون، الظالم سوط الله ينتقم به، ثم ينتقم منه، فلما جاء سيدنا موسى لفرعون قال: ﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ نظر فرعون إلى سيدنا موسى، من هذا الذي يكلمني هذا الكلام؟ فرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

حجج فرعون في ردّ دعوة موسى عليه السلام :

يأتي شخص اسمه موسى كان من قبل ربيباً في قصر فرعون أي خادماً، وقد فعل فعلةً نكراء، قتل قبطياً من حاشية فرعون، وولّى هارباً، قال: أنت؟! أنت؟! تقول لي أنت أن أرسل معي بني إسرائيل! ألم نربك فينا وليداً! ألم تكن طفلاً صغيراً عندنا! ألم تأكل من هذا القصر! ألم نرعبك صغيراً! ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَوَلَّيْنَاكَ مِنْ غَمْرِكَ سِنِينَ﴾.. حتى صرت يافعاً وشاباً:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)

سورة القصص

ونسيت ما فعلت يا موسى ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هذا التكرار للتعظيم، يقول لك: ذاك المرض، قل اسمه، هذا للتعظيم، لأنه شيء كبير جداً، نسيت فلاناً ماذا فعل؟ ماذا فعل؟ الذي فعله، هذا إبهام هدفه التعظيم ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.. كيف قتلت هذا القبطي؟ الإله الذي بعثك إلي هل يسمح لك أن تقتل هذا القبطي؟ هكذا، ظن فرعون أنه أجاب سيدنا موسى إجابة حاسمة، أنت كنت فينا ربيباً وليداً، ربيبناك في هذا القصر، أطعمناك في هذا القصر، اعتنينا بك حتى صرت شاباً، فعلت فعلتك، ووليت هارباً، أنت تقول لي: أن أرسل معي بني إسرائيل؟! موقف عصيب، بشكل نظري سهل، لكن تصوروا أن سيدنا موسى شخص مضطهد - بنو إسرائيل مضطهدون في عهد فرعون - وقد تربى عندهم، وقتل منهم قبطياً، ويأتي ليدعو فرعون ليؤمن بالله رب العالمين، وليرسل معه بني إسرائيل، موقف عصيب جداً:

ولا الصباية إلا من يعانيتها

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

* * *

ردّ موسى على مزاعم فرعون :

سيدنا موسى قال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.. بعض علماء التفسير قالوا: هذا استفهام من غير أداة استفهام، لكن السياق يفرض أن يكون استفهاماً، لأن النبي معصوم في رأي جمهور العلماء قبل الرسالة وبعدها، معصوم قبلها، والدليل لما قصّ قصته على سيدنا شعيب قال:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ (25)

سورة القصص

لو كان سيدنا موسى ارتكب خطأ في هذا العمل ما قال له سيدنا شعيب: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، هو ماذا فعل؟ رأى عدواناً من شخص قوي على شخص مستضعف، وقف مع الحق، وكزه ففضى عليه، قال: نعم فعلتها، ولكن أنا لست ضالاً بهذا العمل، أنا وقفت مع الحق، كان بإمكانني ألا أتدخل، وأطلب السلامة لنفسني، طبعاً لو أنت شاهدت إنساناً قوياً يضرب إنساناً ضعيفاً، طبعاً الموقف المريح أن تتابع المسير في الطريق، أن تقول: لا علاقة لي بهذا، يقول الإنسان: فخار يكسر بعضه، لكنك أن تقف مع الحق وتعرض نفسك للخطر.. لخطر الموت، قال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ ما فعلت إلا ما يمليه عليّ الحق، أي أراد أن يناقش فرعون بهذا الموقف.

الخوف من جبلة البشر جميعاً :

﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾.. الإنسان يخاف، والنبي يخاف، ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ يقول الله عز وجل:
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

سورة الكهف

أنا بشر، وسيدنا موسى بشر.

امتنان موسى برسالة الله له :

﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.. أنا لست رسولاً فريداً في الأرض، أنا رسول من هؤلاء الرسل جميعاً، حينما خفتكم توجهت إلى مدين، عشت مع نبي عظيم، سيدنا شعيب، وهب لي ربي في هذه المرحلة حكماً، وجعلني نبياً، وأرسلني إليكم، بعدئذٍ تقول لي: ألم نريك فينا وليداً؟

استعباد فرعون لبني إسرائيل :

طبعاً فرعون استعلى عليه فقابله استعلاءً باستعلاء، وتهكماً بتهكّم، قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.. أنا لماذا رُبيت في قصرِك؟ لأنك تذبح بني إسرائيل،

لو أنك لا تذبحهم ما تربيت في قصرك، خافت عليّ أُمي فقذفتني بالتابوت، والتابوت جاء إلى شاطئ قصرك، ما كان لك أن تربيني لو كنت عادلاً، لو لم تقتل أبناء بني إسرائيل لم أكن في قصرك، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ جعلتهم عبيداً عندك، أخذت جهودهم بلا ثمن، وقتلت أبناءهم، واستحييت نساءهم، وتلك نعمة تمنها عليّ أيضاً أن عبدت بني إسرائيل، طبعاً موقف عصيب، موقف متين، وجواب محكم: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)﴾.

إنكار فرعون لوجود رب سواه :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23)﴾.. هو لا ينفي وجوده، بل ينفي قدرته، هذه نفي الشأن، يقول له: فلان، يجيبه: من فلان؟ أي معروف عند القائل، ومن فلان؟ أي لا قيمة له ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أنا الإله، هذا قول فرعون، كلمة وما رب العالمين؟ سيدنا موسى فاجأه فقال: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.. رب الكون، من أنت أمامه؟ إذا كانت المجرة تبعد عنّا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، وإذا كان أقرب نجم ملتهب بُعداً عنّا أربع سنوات ضوئية، أي نحتاج إلى أن نصل إليه بالسيارة إلى خمسين مليون سنة، أربع سنوات ضوئية تقابل خمسين مليون سنة بالسيارة، والأربعة آلاف سنة ضوئية، والمليون سنة ضوئية، والستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، وما رب العالمين؟ أحياناً الإنسان يسب الدين أو يسب الإله، هذا صفر، تحت الصفر، لا يعرف عن الله شيئاً، أتعرف من تسب؟ خالق السماوات والأرض ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان هذا سباب.

تعريف بمعنى الرب :

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.. ما معنى رب؟ أي المربي والممد، إذا كنت تربي طفلك، واحتاج إلى دواء، ولا تملك ثمن الدواء أنت لست مربياً، معلومات جيدة، ولكن الإمكانيات لا توجد، كلمة رب تعني الحكمة في الرعاية مع القدرة في الإمداد ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من أمد الشمس بهذا النور وهذا اللهب؟ من حرك الأجرام السماوية؟ من حرك الرياح؟ من أنزل الأمطار؟ من أنبت النباتات؟ من أطعم الطيور في السماء؟ من أطعم الأسماك في البحار؟ من أعطى هذه الشجرة ما تحتاج من مواد معدنية وأشباه معدنية؟ من؟ من يمد كل مخلوق بما

يحتاج؟ من هو الحي القيوم قيام الأشياء به؟ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتقول: وما رب

العالمين؟ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ طبعاً مع التفصيلات، أحياناً تجد نملة من يطعمها؟

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)

سورة هود

الدابة، أحياناً يوجد غزلان يعيشون في قمم الجبال، وعول، في قمم الجبال وفي قمم الجبال بعض الينابيع، وليس هناك من تفسير لينبوع ماء في قمة الجبال إلا أن يكون خزانة في جبل أعلى منه، أي يوجد جبل أعلى منه بعيد جداً هناك اتصال أنابيب موصولة من هذا الجبل العالي إلى الجبل الأدنى، ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا الوعل يحتاج أن يشرب، إذاً يخلق له ينبوع ماء في قمة الجبل.

وهذه السمكة التي تعيش في خليج ماريانا في المحيط الهادي حيث العمق يزيد على اثني عشر ألف متر، أعمق مكان في البحار، سمك هلامي من يأتيها بالطعام والشراب؟ ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الطيور، الأسماك، الوحوش، الحيوانات الأهلية، الدود، البكتيريا، الفيروس، الكائنات الدقيقة، من يطعمها؟ الله سبحانه وتعالى، لها أجهزة، تجد النملة لها قلب ولها بصر، والدليل ضع يدك أمامها تقف، معنى هذا أن لها بصراً، تجد الحيوان له قلب، وله رئتان، وله أجهزة هضم، وغدد صماء، الحيوان ليس له قيمة عندك، بعوضة تعمل لها بيدك هكذا ماذا حصل؟ هذه البعوضة لها ثلاثة قلوب، وعندها جهاز تخدير، وعندها جهاز تحليل، وعندها جهاز تمييع للدم، لها محاجم إذا كان السطح أملس، ولها مخالب، يرف جناحها أربعة آلاف رفة في الثانية إلى مستوى الطنين.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)

سورة البقرة

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ من الله عز وجل؟ هذه البعوضة لو أن علماء الأرض اجتمعوا على أن يخلقوا ذبابة لا يستطيعون، تحادهم ربهم في أحقر مخلوق، ذبابة لا يستطيعون ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يمدّ كل هذه المخلوقات، من يمد الشمس بالحرارة؟ من يمد الأرض بالحركة؟ الجبال بالشموخ؟ البحار بالماء؟ كل إنسان فيه خمسون نوعاً، خمسون نسيجاً، خمسون عضواً، خمسون غدة، هذا البنكرياس يحتاج إلى أنسولين ضعف إفراز الأنسولين حدث مرض السكر، أصيب بجفاف في ريقه، صار يدوخ، خمسون ظاهرة لأن البنكرياس ضعف إفراز الأنسولين فيه، والأنسولين من أجل إحراق السكر في حرارة عادية ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24)﴾.

استغراب فرعون من كلام موسى عليه السلام :

فرعون استغرب، دهش ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.. يريد أن يعزز مكانته، يريد أن يستجد بمن حوله، يحتاج إلى إعادة اعتبار، ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، كأنه يستهزئ، ما هذا الكلام؟ قال: هناك رب للعالمين، أ يوجد غيري إله؟ كأنه يقول هكذا لأتباعه، هل تعرفون إلهاً غيري؟ هذا يدعي أن هناك إلهاً خلق السماوات والأرض.

إثبات موسى لربوبية الله ونفيها عن فرعون :

عندئذ فاجأه سيدنا موسى قال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾.. أي أنت لست إلهاً يا فرعون، أنت ربيب والله هو الرب، أنت لست رباً، الله هو ربك، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، كان الله، ولم يكن معه شيء، هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، هو القديم الأزلي الأبدي، أي: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ حينما تضعف حجة الإنسان، وحينما يقع في حيص بيص كما يقولون، وحينما يسقط في يده يلجأ للسباب، أثناء المناقشة الذي يسب الثاني أولاً هو الضعيف، القضية إقناع، الحجة والحجة، والدليل والدليل، يقول لك: أنت لا تفهم، انتهى النقاش، معنى ذلك أن أحد الأطراف سلم، عندما يلجأ الإنسان للسباب معناها انتهى، معناها ضعف، معناها فقد الحجة، معناها أسقط في يده.

اتهام فرعون لموسى بالجنون :

قال فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.. ردُّ على هذه الحقائق؟ ردُّ على هذه البراهين، هذا كلام لا معنى له، فلذلك أصعب شيء في النقاش أنك لست فاهماً، ردُّ عليه، إذا قلت له كذلك فأنت ضعيف، لقد سقطت في الامتحان، لقد خسرت هذه الجولة، إما أن تقدم له الدليل، وإما أن تسكت، أما أن تقول له: إنك مجنون، هذا ليس نقاشاً، هنا فرعون وقع في الإحباط: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ هذا مجنون، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى في الطريق مجنوناً فقال لأصحابه: من هذا؟ هذا اسمه: تجاهل العارف، فقالوا: هذا

مجنون، قال: لا، هذا مبتلى، المجنون من عصى الله، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، المجنون من عصى الله عز وجل.

وتعلمون النمرود حينما ناقشه سيدنا إبراهيم فقال: **إِن رَّبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**، قال: أنا أحيي وأميت، توهم النمرود أنه إذا عفا عن إنسان من حقه أن يُقتل فقد أحياه، وإذا أمر بقتل إنسان فقد قتله، قال: أنا أحيي وأميت، فسيدنا إبراهيم علمنا النقاش الصحيح، ما تابعه في هذا الموضوع لأن فهمه كان سقيماً، جاءه بحجة أخرى قال:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

سورة البقرة

الدعوة إلى أعمال العقل :

سيدنا موسى قال: **﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** الإنسان يجتمع فيقرر مثلاً إغلاق شيء، يقرر فتح شيء، يسمح، يمنع، يعزل، يعين، يعطي، يمنع، الآن لو اجتمعت الدول كلها لاتخاذ قرار بأن تطلع الشمس من مغربها، لقد قرر المجتمعون أ، تشرق الشمس من المغرب صبيحة يوم كذا، كلام فارغ، الإله هو الذي يفعل هذا، جميع بني البشر ليس في قدرتهم أن يفعلوا ذلك، فسيدنا موسى قال له: **﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** الذي يجعل الشمس تشرق من هذا المكان **﴿وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** أي يجب أن تعقلوا، إنما الدين هو العقل، من لا عقل له لا دين له، من لا دين له لا عقل له، تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتاً، إن الرجلين ليستوي عملهما، وبرهما، وصومهما، وصلاتهما، ويختلفان في العقل كالذرة جنب أحد، وما قسم الله لعباده نصيباً أوفر من العقل واليقين **﴿إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** لو أنكم تعقلون عرفتم الله رب العالمين، عرفتم رب المشرق والمغرب، عرفتم ربكم ورب آبائكم الأولين، عرفتم رب السماوات والأرض إن كنتم تعقلون، أي اعقلوا **﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**.

مرحلة التهديد والضغط والوعيد :

عندئذ فقد فرعون صبره فقال: ﴿قَالَ لئنِ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.. فرعون قوي، لكن كل قوة تحتاج إلى فلسفة تساندها، فسيدنا موسى يخاطبه أمام ملاً منه، عندئذ لما بلغ بفرعون هذا المبلغ وانتقل من المناقشة إلى التهديد، وانتقل من الحوار إلى الوعيد.

اقتراح موسى على فرعون حجة مادية :

عندئذ قال سيدنا موسى: ﴿قَالَ أَوْلُوْ جُنَّتْكَ بِشْيٍءٍ مُّبِينٍ﴾ لو أن معي على ما أقول حجة قاطعة ما تقول؟ هنا لو قال له: لا، لا أستمع إليها يفقد قيمته أمام من حوله، أي وضعه في زاوية ضيقة ﴿قَالَ أَوْلُوْ جُنَّتْكَ بِشْيٍءٍ مُّبِينٍ﴾.. لو جننتك بدليل قطعي، دليل، حجة قاطعة، بمعجزة تثبت أنني رسول من عند الله رب العالمين، عندئذ قال: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ طبعاً اضطر مرغماً أن يعطيه مهلة كي يدلي بحجته التي تثبت أنه نبي مرسل من عند الله رب العالمين، طبعاً الوقت ضيق لا يتسع لمتابعة هذه القصة، إن شاء الله تعالى في درس قادم نتابع هذه القصة، أما هذا الدرس القادم إن كان في العمر بقية بعد ثلاثة أسابيع، لأنني مزعم إن شاء الله تعالى على أداء فريضة الحج هذا العام، فسأنتغيب الأسبوع القادم والذي بعده فقط إن شاء الله تعالى كما هي الخطة، نحن في العادة نعطل في العيدين، فأسبوع العيد فيه عطلة بالأساس، يضاف لهذه العطلة أسبوعاً آخر، الأسبوع القادم، نتابع هذه الدروس إن شاء الله وإن كان في العمر بقية بعد العودة من الحج.

والحمد لله رب العالمين